وفي تعليل النهي عن قربان الزنى : « إنه كان فاحشة وساء سبيلاً »[1]

وفي تحريم الاستقسام بالأزلام « ذلكم فسق[2] » .

وفي تحريم أكل أموال اليتامى « إنه كان حوباً كبيراً[3] » .

وينبغي أن يكون هذا هو منهج الداعية في تعليل الأوامر والنواهي إذا كان خطابه مع المؤمنين بالإسلام ، فحسبه أن يشير إلى أن فعل هذا الأمر يجلب رضا الله ومثوبته ، وأن اجتناب ذلك يجلب سخط الله وعقوبته . ولهذا يكتفي القرآن هنا بأن يقول للمؤمن : إنه رجس أو فسق ، أو خطأ أو حوب كبير ، أو فاحشة أو سبيل سوء .

علم أصول الفقه :

ولا بد للداعية أن يلم بعلم أصول الفقه حتى يعرف الأدلة المتفق عليها بين فقهاء الأمة وهي الكتاب والسنة ، والتي اتفق عليها جمهورهم وهي : الإجماع والقياس والتي اختلفوا فيها بعد ذلك بين مثبت ونافٍ ، ومضيق وموسع ومتوسط ، وهي أدلة ما لا نص فيه ، من الاستحسان ، والاستصلاح ، والاستصحاب ، وشرع من قبلنا ، وقول الصحابي ، وما إلى ذلك مما تفرقت فيه وجهات النظر ..

وإذا كان الكتاب والسنة هما الأصلين والمصدرين الأساسيين ، فكيف تستنبط منهما الأحكام ؟ ومن يجوز له الاستنباط أو يجب عليه ؟ ومن يحل له التقليد أو يحرم عليه ؟

هنا نجد مسائل كثيرة بعضها اتفقوا عليه وبعضها اختلفوا فيه « ولكل وجهة هو موليها » . ولا بد للداعية أن يعرف الراجح من المرجوح ليأخذ بالراجح ،

---

(١) الاسراء : ٣٢

(٢) المائدة : ٣

(٣) النساء : ٢

ويعذر الآخذين بالمرجوح ، أو يقنعهم إذا استطاع .

وليس من الضروري للداعية أن يقرأ المطولات في الأصول فهذا شأن المتخصص . وحسبه أن يقرأ ما يعطيه فكرة ملائمة مثل « جنة الناظر » « لابن قدامة » أو « إرشاد الفحول » « للشوكاني » وهو أوسع أو كتاباً حديثاً مثل « أصول الفقه » للخضري أو « علم أصول الفقه » لخلاف وهو كتاب جيد مفهوم . ويحسن بالداعية تتمة لهذا أن يعرف نبذة عن تاريخ الفقه الإسلامي ونشأة المذاهب وتطورها . وغلبة الجمود والتقليد على الاجتهاد والاستنباط في الأعصر الأخيرة ويكفي في هذا « تاريخ التشريع الإسلامي » « للخضري » أو « خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي » لخلاف .

علم العقيدة : –

ولا نريد بدراسة العقيدة دراسة منظومات المتأخرين في علم التوحيد وشروحها مثل الجوهرة أو الخريدة ونحوهما ، ولا دراسة العقائد النسفية وما يتبعها من شروح وحواش ، ولا دراسة المطولات الكلامية مثل شرح المقاصد أو شرح المواقف وما شابههما فلم يعد كثير من مباحث هذه الكتب يحتاج إليه العقل المعاصر أو يستسيغه ، ولم يعد يكفي للرد على شبهات الفلسفة الحديثة ، وما تثيره من مشكلات فكرية . لهذا يجب توفير الجهد الذهني الضخم الذي يبذل في هضم هذه الكتب ، وحل ألغازها وفك طلاسمها ، لما هو أجدى في الدفاع عن العقيدة وتثبيتها .

هذا بالإضافة إلى أن المباحث الكلامية ـ على عمقها وتعب الذهن في فهمها واستيعابها ـ لا تكون عقيدة ـ كل مهمتها الدفاع عن عقيدة تكونت بالفعل ، ورد الشبهـــات عنها . وأكثر من ذلك أن مباحث علم الكلام قد تأثرت بالتفكير اليوناني ، والأسلوب اليوناني في معالجة شئون العقيدة .

ولهذا هاجم أئمة السلف علم الكلام وأهله ، وشددوا الحملة عليه .

لهذا نريد من دراسة العقيدة مراعاة ما يلي :

١ ـ أن يكون كتاب الله تعالى ، وما يبينه من صحيح السنة ، هو المصدر الفذ للعقيدة المنشودة ، بعيداً عن الشوائب والزوائد والفضول ، التي لحقت بها على مر العصور وبهذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها ، ولا نجعل آراء مدرسة معينة أصلاً يحمل القرآن عليه ، وتجر الآيات لتأييده .

٢ ـ أن نتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والقلب معاً من أجل تكوين الإيمـان الصحيح ، فبناء العقيدة على العقل وحده كما هو اتجاه الفلاسفة ، أو على القلب وحده كما هو اتجاه الصوفية ، لا يتفق مع شمول المنهج الإسلامي الذي يقوم الإيمان فيه على اقتناع العقل ، وانفعال القلب ، وصدق الارادة .

٣ ـ الاهتمام بأدلة القرآن التي ذكرها لإثبات معتقداته ، وإقناع مدعويه ، والرد على خصومه ، وتفنيد ما يثيرونه من شبهات ومفتريات . مثل أدلة القرآن على وجود الله التي أشار إليها مثل ابن رشد في « مناهج الأدلة » والعقاد في « الله » ، والجسر في (قصة الإيمان) وغير هم . وكذلك أدلته على التوحيد ، وعلى البعث وعلى نبوة محمد ﷺ . وكلها أدلة عقلية برهانية صريحة ، وليست خطابية أو إقناعية كما وهم بعض المتكلمين .

٤ ـ صرف الهمة إلى مشكلات العقل المعاصر ، والاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى مثل : وجود الله تعالى ، توحيده ، النبوة ، الحياة الأخرى ، القَدَر ـ أما المشكلات التاريخية مثل : خلق القرآن أو الصفات وعلاقتها بالذات : هل هي عين أم غير أم لا عين ولا غير الخ . فينبغي أن تدرس كتاريخ للفكر الإسلامي ، ولا ننفق فيها من الوقت والجهد ما نحن في حاجة إليه لمواجهة معضلات زماننا .

٥ ـ الاستفادة من ثقافة العصر ، وخصوصاً في ميادين العلوم البحتة كالفلك والطب والفيزياء وغيرها ـ لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها . كما فعل

ذلك كثير من المؤلفين في زماننا من الأجانب والمسلمين مثل صاحب « العلم يدعو إلى الايمان » وأصحاب « الله يتجلى في عصر العلم » وصاحب « قصة الإيمان » ومؤلف « الله العلم الحديث » و « الإسلام يتحدى » ... وغيرها .

٦ ـ أن نتبنى طريقة السلف في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل . وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم ، مثل أبي الحسن الأشعري في « الإبانة » والغزالي في « إلجام العوام عن علم الكلام » والفخر الرازي في « أقسام اللذات » حيث يقول فيه : « لقد تأملت المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، فلم أرها تشفي عليلاً أو تنقع غليلاً . ورأيت خير الطرق طريقة القرآن : اقرأ في الإثبات « الرحمن على العرش استوى » واقرأ في النفي « ليس كمثله شيء » . ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي » .

٧ ـ نتتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم ، والرد عليها رداً علمياً فكرياً بلسان العصر .

التصوف : ـ

التصوف هو العلم الذي يبحث في الجانب الأخلاقي والعاطفي من الثقافة الإسلامية .

ولا ينكر الدارسون أن التصوف قد أثرت فيه ـ إلى حد ما ـ عوامل أجنبية : مسيحية أو هندية أو فارسية أو يونانية إلى جوار العوامل الإسلامية أيضاً ، وأنه قد دخلت فيه على مر الأزمان ـ أفكار غريبة من شتى المصادر المذكورة أو غيرها . حتى انتهى بعض أنواع التصوف إلى القول بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود[1] . وكان لبعضهم كلام عن « قدم النور المحمدي » أو ما

(١) انظر : فصل « التصوف الفلسفي » من كتاب « مدخل إلى التصوف الإسلامي » للأستاذ الدكتور ابو الوفا التفتازاني ص ٢٢٧ وما بعدها .

يسمونه « الحقيقة المحمدية » وكلام عن الولاية والأولياء وعن الكشف والمواجيد والأذواق وتحكيمها في النصوص الدينية ، وتفرقتهم بين الحقيقة والشريعة ، وتربية المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ، - وغلوهم في الزهد وما يتعلق به إلى حد يخرج عن وسطية الإسلام إلى رهبانية النصارى .

لهذا ولغيره ، وقف كثير من الحريصين على التمسك بالسنة موقف الريبة ـ بل الخصومة ، من التصوف وتراثه ورجاله ، وأعلن بعضهم حرباً على التصوف كله ، قديمه وحديثه ، سنيه وبدعيه ، وحمله أوزار كل الانحرافات الفكرية والسلوكية التي ابتلى بها المسلمون في القرون الأخيرة . وبالتالي دعا إلى نبذ هذا التراث وهجره خشية ما يتخلله من مفاهيم لا تتلاءم مع الإسلام والذي نريد أن نؤكد عليه هنا : -

أولاً ـ أن التصوف الفلسفي كله مرفوض من أساسه ، وإذا درسناه فإنما ندرسه لنرد عليه ونبين فساده ومنافاته للإسلام . ونريد بالتصوف الفلسفي : القائم على فكرة « الحلول » و « وحدة الوجود » .

ثانياً ـ أن الذي يعنينا من التصوف هو الجانب الأخلاقي والتربوي ، وهو الذي قال فيه ابن القيم في « المدارج » : « اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق » وعبر عنه الكناني بقوله : « التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . »

ثالثاً ـ أننا يجب أن ننتقي من التصوف ما يخدم العقيدة الإسلامية ، والأخلاق الإسلامية . وندع كل ما فيه شائبة أو ريبة ، وننتفع في ذلك بمن نقد الصوفية مثل ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » وغيره .

كما نرى أن من الإنصاف أن نبين أن في التراث الصوفي ـ على ما فيه من مآخذ ـ فوائد لا تنكر منها :

١ ـ أنه يجمع كثيراً من أقوال الصالحين ، وحِكَم الزهاد والعباد وأهل التقوى والبصيرة .

٢ ـ أن فيه لفتات روحية مشرقة في فهم الآيات والأحاديث والتعليق عليها لا توجد عند غيرهم .

٣ ـ أن الصوفية ـ حين عنى الفقهاء بأحكام الظاهر المُحَس ، والمتكلمون بالجانب العقلي الجاف ـ عنوا هم بأحكام الباطن ، ودراسة آفات النفوس ، ومداخل الشيطان إليها ، وكيفية وقايتها وعلاجها . ولهم في ذلك من الممارسات والتجارب والمعارف ـ ما ليس لطائفة غيرهم .

٤ ـ أن في أقوالهم حرارة وحيوية يلمسها قارئها ، ولعل ذلك نتيجة المجاهدة النفسية والرياضة الروحية التي يعانونها ، وليست النائحة كالثكلى .

٥ ـ أن الصوفية الأوائل الذين وضعوا أسس التصوف ومهدوا طريقه ، رفضوا كل محاولة لإخراجه عن الشرع ، وأبوا إلا تقييده بالقرآن والسنة .

قال سيد الطائفة : الجنيد : من لم يقرأ القرآن ، ويكتب الحديث ، لا يقتدى به في هذا الأمر . لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة . وقال : مذهبنا مقيد بأصول الكتاب والسنة . وكذلك جاء عن أبي حفص والداراني وابن أبي الحواري والسري السقطي وغيرهم ، كما نقله عنهم القشيري وغيره[1] .

٦ ـ أن من أئمة الدعوة السلفية من تكلم في التصوف وألف فيه ، ورد على باطله ، وأشاد بما فيه من حق ، كما يتضح ذلك في رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، مثل « العبودية » و « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » ورسالة « الفقراء » وغيرها من الفتاوى والرسائل والبحوث ، التي ظهرت في مجلدين من مجموع فتاويه ، أحدهما تحت عنوان : « التصوف » ـ

والثاني تحت عنوان : « السلوك » وكذلك مؤلفات تلميذه المحقق العلامة ابن القيم في ذلك وهي كثيرة منها : طريق الهجرتين ، وعدة الصابرين ، وذخيرة الشاكرين ، والداء والدواء ، وأعظمها : « مدارج السالكين شرح

(١) انظر : مدارج السالكين جـ ٢ ص ٤٦٤ وما بعدها ط السنة المحمدية .

منازل السائرين » في ثلاثة مجلدات وفيه وزن علوم القوم بميزان الكتاب والسنة .

النظام الإسلامي : -

ومن أهم ما ينبغي للداعية أن يدرسه دراسة وعي وهضم : النظام الإسلامي ، أو نظام الإسلام ، أو المذهبية الإسلامية ، أو فلسفة الإسلام .

ونعني بهذا دراسة الاسلام خالصاً غير مشوب ، متكاملاً غير مجزأ ... الإسلام باعتباره مذهباً متميزاً ، ونظاماً كاملاً للحياة : الحياة الفردية ، والحياة الاجتماعية ، والحياة المادية ، والحياة المعنوية . ولا يغني عن هذه الدراسة للإسلام المتكامل دراسة العلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والتوحيد ونحوها ؛ لأنها لا تعطي نظرة عامة للإسلام كله ، وإنما تعطي نظرات متفرقة لجوانب منه ، كل على حدة ، دون إحكام الربط بينها .

وان الخطر على فهم الإسلام فهماً صحيحاً يتمثل في عدة أمور يجب التحرز منها :

١ ـ أن يزاد عليه ، ويلصق به ما ليس منه من رواسب الديانات السابقة ، وثنية ومحرفة . وشوائب النحل والمذاهب ، شرقية وغربية ، وذلك بعد أن أكمله الله للأمة وأتم عليها به النعمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)[1] والكامل لا يقبل الزيادة كما لا يقبل النقص . ولهـذا شدد الرسول ﷺ التحذير من الإحداث والابتداع في الدين .

٢ ـ أن ينقص منه ما هو من أجزائه وصلب كيانه ، أو يؤخذ بعضه دون بعض ، كما فعل بنو إسرائيل بدينهم ؛ آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض . وفي عصرنا قامت محاولات لتجزئة الإسلام ، أو إهدار بعض تعاليمه ، كالذين يريدون الإسلام عقيدة بغير شريعة ، أو ديناً بلا دولة ، أو صلاة بدون زكاة ، أو سلاماً بلا جهاد أو زواجاً بلا طلاق .. الخ . والإسلام وحدة لا

(١) سورة المائدة : ٣

تقبل التجزئة والتفكيك « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة »[1] .

٣ ـ أن تشوه تعاليمه في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق ، أو التشريع ، فتعرض على غير حقيقتها ممسوخة محرفة ، بفعل الجهل أو الهوى ، كما شوهت فكرة القضاء والقدر في العقيدة ، أو فكرة الحج في العبادة ، أو فكرة الزهد في الأخلاق ، أو فكرة الطلاق وتعدد الزوجات وضرب الزوجة الناشز في نظام الأسرة ، أو فكرة الجهاد في نظام الدولة ، وفكرة الحدود في نظام العقوبات .

٤ ـ أن يختل التوازن بين قيمه وتعاليمه ، فيعطي بعضها دون حقه ، ويأخذ بعضها الآخر أكثر من حقه ، ويقدم ما يستحق التأخير ، ويؤخر ما يستحق التقديم . مع أن الإسلام قد أعطى كل عمل من الأعمال ، وكل واحد من تعاليمه قيمة و « سعراً » خاصاً ، فلا توضع الفروع موضع الأصول ، ولا تحتل النوافل مكان الفرائض ، ولا تقدم أعمال الجوارح على أعمال القلوب ، ولا تؤثر القربات الفردية القاصرة على العبادات الاجتماعية المتعدية ، بل يوضع كل شيء في مرتبته الشرعية دون غلو ولا تقصير ، وإلا اضطربت المعايير وقدم ما حقه التأخير .

ومن هنا ينبغي عند دراسة النظام الاسلامي أو الكتابة تفادي هذه الأخطار الأربعة : من الزيادة فيه ، أو النقص منه ، أو التشويه له ، أو الإخلال بتوازنه . وينبغي إذن أن يدرس النظام الإسلامي ، وإن شئت قلت : يدرس الإسلام « على هذه الصورة » :

أ ـ خالصاً مصفى من الشوائب والفضول والزيادات التي ألصقت به على مر العصور . ويجب العودة إلى نقاء الإسلام الأول : إسلام القرآن والسنة ، إسلام الصحابة وتابعيهم بإحسان ـ قبل أن تظهر الفرق ، وتطرأ البدع ، وتتفاقم الفتن .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٨ .

ب ـ شاملاً متكاملاً ، غير مبتور ، ولا مجزأ ، ولا محذوف منه ، بعقائده وتصوراته ، بشعائره وعباداته ، بأخلاقه وآدابه ، بنظمه وتشريعاته : الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمدنية والجنائية ، مع وجوب الربط بينها ، وشدها جميعاً إلى أصل أصولها وأسس بنائها ، وهو توحيد الله تعالى .

جـ ـ سليماً كاملاً ـ مبرأ من تشويه المشوهين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية للإسلام ، مع العناية بتوثيق الدليل ، وحسن التعليل ، والاهتمام بابراز خصائص الإسلام : ربانيته ، إنسانيته ، شموليته ، وسطيته ، واقعيته ـ الخ .

د ـ متوازناً متسقاً واضح التقاسيم ، محدد المفاهيم ، مرتب التعاليم ، بحيث يقدم فيه الأهم على المهم ـ والمهم على غير المهم ، وتوضع مبادئه وأحكامه في مراتبها الشرعية : العقيدة قبل العمل ، والعبادة قبل المعاملة ، والفرائض قبل النوافل ، والكبائر قبل الصغائر ، والأركان قبل غيرها .

وينبغي أن يستفاد من كتابات المعاصرين من رجالات الفكر الإسلامي في أنحاء العالم الإسلامي وذلك في المجالات الأساسية للنظام الإسلامي ـ ونرشح لذلك بعض الكتب على سبيل المثال لا الحصر . وإن كان كل بشر يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ .

أولاً ـ في مجال العقيدة والأسس الفكرية :

١ ـ مبادىء الإسلام	أبو الأعلى المودودي
٢ ـ العقائد الإسلامية	حسن البنا
٣ ـ خصائص التصور الاسلامي	سيد قطب
٤ ـ قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن	نديم الجسر
٥ ـ نظام الإسلام : العقيدة والعبادة	محمد المبارك
٦ ـ الإسلام يتحدى	وحيد الدين خان

٧ ـ الله جل جلاله	سعيد حوى
٨ ـ الرسول ﷺ	سعيد حوى
٩ ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عباس العقاد
١٠ ـ عقيدة المسلم	محمد الغزالي
١١ ـ الإيمان والحياة	يوسف القرضاوي

ثانياً ـ في مجال العبادة والشعائر :

١ ـ الأركان الأربعة	أبو الحسن الندوي
٢ ـ العبادة في الإسلام	يوسف القرضاوي

ثالثاً ـ في مجال الأخلاق :

١ ـ ربانية لا رهبانية	أبو الحسن الندوي
٢ ـ خلق المسلم	محمد الغزالي
٣ ـ دستور الأخلاق في القرآن	محمد عبدالله دراز

رابعاً : في مجال التشريع والنظام الاجتماعي :

١ ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام	سيد قطب
٢ ـ خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي	محمود أبو السعود
٣ ـ منهاج الإسلام في الحكم	محمد أسد
٤ ـ نظام الاقتصاد	محمد المبارك
٥ ـ الحكم والدولة	محمد المبارك
٦ ـ الاقتصاد الإسلامي ـ مدخل ومنهاج	عيسى عبده ابراهيم
٧ ـ الفكر الإسلامي المعاصر (الحكم والمجتمع)	د . محمد البهي
٨ ـ الفكر الإسلامي المعاصر (الأسرة والتكافل)	د . محمد البهي
٩ ـ الإسلام والأوضاع الاقتصادية	محمد الغزالي

١٠ ـ الإسلام المفترى عليه	محمد الغزالي
١١ ـ اشتراكية الإسلام	د . مصطفى السباعي
١٢ ـ الثروة في ظل الإسلام	البهي الخولي
١٣ ـ فقه الزكاة	يوسف القرضاوي
١٤ ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام	يوسف القرضاوي
١٥ ـ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي	يوسف القرضاوي
١٦ ـ التشريع الجنائي الإسلامي	عبد القادر عودة
١٧ ـ الإسلام عقيدة وشريعة	محمود شلتوت
١٨ ـ أحكام الذميين والمستأمنين في شريعة الإسلام	د . عبد الكريم زيدان
١٩ ـ الفرد والدولة في شريعة الإسلام	د . عبد الكريم زيدان
٢٠ ـ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام	محمد ابو زهرة
٢١ ـ نظام الحكم في الإسلام	د . محمد عبدالله العربي
٢٢ ـ نظرية الإسلام وهديه في السياسة والدستور	أبو الأعلى المودودي
٢٣ ـ الربا والاقتصاد الإسلامي	أبو الأعلى المودودي
٢٤ ـ الحجاب	أبو الأعلى المودودي
٢٥ ـ مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي	حسن البنا
٢٦ ـ الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة	البهى الخولي

الثقافة التاريخية

ومن الثقافة اللازمة لمن نصب نفسه للدعوة : الثقافة التاريخية .

فالتاريخ هو ذاكرة البشرية ، وسجل أحداثها ، وديوان عبرها ، والشاهد العدل لها أو عليها .

ويهمنا في ذلك تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة ، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة ، أعني المواقف الحاسمة منه ، والملامح الرئيسية فيه ، لأنه لا يتصور أن يدرس ، الإنسان تاريخ البشر كافة ، ولو كان متخصصاً .. فكيف بغير المتخصص ! وإنما يحتاج الداعية إلى التاريخ لأمور :

١ ـ أنه يوسع آفاقه ، ويطلعه على أحوال الأمم ، وتاريخ الرجال ، وتقلبات الأيام بها وبهم ، فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور : كيف ترقى الأمم وتهبط ؟ وكيف تقوم الدول وتسقط ؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم ؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت ؟ وكيف ينجح القادة ويفشلون ؟ وكيف تنام الشعوب وتصحو ؟ ـ يقول القرآن : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

٢ ـ ان التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم . فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ، ونهاية الكفر والفجور ، وجزاء الشاكرين لنعمة الله ، وعقوبة الكافرين بها ، وكيف يجني من يغرس الخير ، ويحصد من يزرع الشوك . ولهذا عني القرآن الكريم بذكر قصص

السابقين ، وتواريخ الغابرين لما فيها من عبر بليغة ، وعظات حية . كما قال تعالى : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهوشهيد » . وقال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » .

وكثيراً ما يعقب على نهاية الأمم تعقيبات تبرز ما وراءها من دروس ، مثل قوله بعد قصة ثمود : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » وقوله بعد قصة سبأ : — « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » وقوله بعد قصة موسى وفرعون : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

والداعية يحتاج إلى أن يستشهد للمعاني والقيم التي يدعو إليها باحداث التاريخ ، ومواقف الأبطال ، وغير الأبطال . فهذا أعون على تثبيتها في العقول والقلوب ، فإن الكلمات قد تنسى ، ولكن الوقائع قلما تنسى .

٣ ـ إن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل ، ولا سيما إذا تماثلت الظروف ، وتشابهت الدوافع ، وهذا ما جعل العرب قديماً يقولون : ما أشبه الليلة بالبارحة ! وجعل الغربيين يقولون : التاريخ يعيد نفسه . بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حين أشار إلى وحدة التصرفات أو تشابه الأقوال عند تشابه البواعث . وذلك في مثل قوله عن المشركين وطلبهم الآيات الكونية من رسول الله كقولهم : « لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم . تشابهت قلوبهم » وقال في سورة أخرى :

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون ! أتواصوا به بل هم قوم طاغون » أي أنهم اتحدوا في الاستكبار والطغيان فاتحد

ما صدر عنهم من زور وبهتان :

وأكثر من ذلك أن بعض القضايا الحاضرة لها جذورها التاريخية البعيدة الأغوار ، فمن لم يعرف أغوار ماضيها لم يدرك أسرار حاضرها . فالصدام بين الإسلام والمسيحية في هذا العصر لا يعرف حق المعرفة ما لم يعرف صراع الحروب الصليبية ، وما دفع إليها من بواعث ، وما صحبها من دماء ، وما خلفته من آثار وما أسفرت عنه من نتائج .. بل لا يعرف إلا من بداية الصراع منذ موقعة اليرموك وفتوح الشام ومصر وإفريقية في عهد الراشدين . بل منذ معركة مؤتة وغزوة تبوك في عهد النبي ﷺ .

٤ ـ إن بعض جوانب التاريخ لها صلة وثيقة بعمل الداعية واهتماماته ، وأعني الجانب العقلي أو الفكري في التاريخ ، مثل : تاريخ الأديان : نشأتها وتطورها ، وأهم الشخصيات والوقائع المؤثرة في سيرها وما آلت إليه في النهاية . ومثل ذلك : تاريخ النحل والفرق ... تاريخ الفلسفات والمدارس الفكرية . تاريخ الحضارات الكبرى ، ولا سيما الجانب الثقافي منها .

تنبيهات للدعاة في المجال التاريخي : ـ

وأود أن ينتبه الداعية الذي يطالع التاريخ ، ويقتبس منه إلى الأمور الآتية : ـ

أ ـ ألا يجعل أكبر همه وعي جزئيات التاريخ وتفصيلاته ، فهذه لا يمكن أن تحصر ولو أمكن أن تحصر لكانت فائدة الداعية منها جد قليلة . انما المهم رؤوس العبر ، ومواقع العظمة في التاريخ .

وبعبارة أخرى : المهم هو المغزى الأخلاقي للتاريخ واتجاهات الأحداث فيه ، وحصادها الناطق المعبر بلسان الحال .

ب ـ أن يكون ذا وعي يقظ للوقائع التاريخية التي تخدم موضوعه ، وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية . وليس من اللازم أن يجد هذه الوقائع في كتب التاريخ المتخصصة . بل كثيراً ما يلتقطها بحسه الواعي من مصادر

قد لا يلتفت إليها كثيراً رجال التاريخ. فقد يلتقطها من القرآن فيما قصه علينا بالحق «ما كان حديثاً يفترى»، وقد يلتقطها من كتب الحديث والآثار، وخصوصاً فيما يتعلق بعصر الراشدين والقرون الأولى، وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل الخراج والأموال، وقد يلتقطها من كتب الأدب، أو كتب الحسبة، أو كتب الرحلات، أو كتب الفتاوى وغيرها.

جـ ـ أن يعنى بسير الرجال، ومواقف الأبطال، وبخاصة العلماء والدعاة، والصالحون. وفي تاريخنا ثروة من السير تتمثل فيها الأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة، وتبرز الشخصية المسلمة مجسدة في مواقف وأعمال كما نلمس ذلك في كتب الطبقات والتراجم، سواء ما كان منها عاماً كوفيات الأعيان، والوافي بالوفيات. وما كان منها خاصاً بفئة معينة كرجال، الحديث مثلاً، كما تجد ذلك في طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب أو الزهاد والصالحين مثل حلية الأولياء وصفة الصفوة، أو الفقهاء مثلاً كالمجتهدين من الأئمة أو أتباع مذهب معين مثل طبقات الحنفية أو الشافعية أو غيرهم من علماء المذاهب المتبوعة. وهكذا طبقات الأطباء والحكماء واللغويين والنحاة. الخ..

فالذي نركز عليه هنا: أن التاريخ ليس للملوك ولا لرجال السياسة وحدهم فكم من أفراد وفئات أخرى تسهم في صنع التاريخ، وتترك «بصماتها» في حياة الناس أكثر من السلاطين والأمراء والزعماء السياسيين.

وقد نجد حياة هؤلاء الطافين على سطح التاريخ فقيرة أو مقفرة من القدوة على حين نجد حياة الآخرين خصبة وثرية من المثل العليا، والمعاني الطيبة. وهذا ما لم يغفله تاريخنا الإسلامي والحمد لله.

د ـ أن يهتم بربط الحوادث والوقائع ـ خصوصاً في تاريخنا الإسلامي ـ بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية. فالذي يطالع تاريخنا بدقة ويتأمل سيره بعمق، يجد أن المد والجزر، والامتداد والانكماش، والنصر والهزيمة

والازدهار والذبول ، والغنى والفقر ، كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة بالإسلام أو انفصالها عنه ، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها ، وحسبنا أن نظرة عجلى إلى عصر الراشدين أو عصر عمر بن عبد العزيز أو عصر الرشيد أو نور الدين أو صلاح الدين ، لنرى تمسكاً بالدين أو رجعة إليه ، ونرى ثمارها عزاً وازدهاراً . والعكس بالعكس في عصور أو فترات أخرى .

هـ ـ أن يكون محور التاريخ الإسلام هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة ، وأثره في تربية الأجيال وتكوين الأمة المسلمة ، وإقامة الدولة الإسلامية وبناء الحضارة الاسلامية ، والثقافة الإسلامية ، وتأثيره في العالم كله ، وقدرته على الانتشار عند القوة ، والمقاومة عند الضعف ، واستطاعته التأثير في غالبيه ليعتنقوه عن رضا واختيار ـ كما فعل مع السلاجقة والتتار ، واختزانه كل العناصر والطاقات اللازمة لامداد أمته بروح الجهاد لإثبات الذات أو لاستعادتها .

وهنا يجب أن نركز على عدة حقائق تاريخية قد يغفلها مُغْفِلون عمداً أو سهواً :

١ ـ يجب إبراز الجاهلية العالمية والعربية ـ التي كان يتردى فيها العالم عامة والعرب خاصة ـ على حقيقتها بلا إفراط ولا تفريط .

ذلك أن النزعات التبشيرية والاستشراقية تريد أن تلبس هذه الجاهلية لبوساً حسناً ، مضخمة ما كان لها من حسنات ، متغاضياً عما عجت به من مثالب . وقد طرب لذلك القوميون ، وخصوصاً من العرب ، فحرصوا على عرض الجاهلية العربية مبرأة من كل عيب ، وإذا عرضوا الشيء من عيوبها مسوه برفق : كما يبدو ذلك في دراسة التاريخ والأدب وما سمي « المجتمع العربي » وغير ذلك . متجاهلين ما كانوا عليه من فساد العقائد والأخلاق والأنظمة والتقاليد . وصدق الله حين قال « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة **وإن كانوا من قبل لفي ضلال**

مبين »[1] .

ورضى الله عن عمر الذي قال : « إنما تنقض عرا الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » . وذلك لأنه لا يعرف مقدار ما قدمه الإسلام من هداية وإصلاح . وهذا بشرط ألاّ يمس ذلك ما تميزت به أمة العرب ، ولغة العرب ، وارض العرب من خصائص وشحتها لاحتضان الرسالة العامة الخالدة . « الله أعلم حيث يجعل رسالته[2] » .

٢ ـ ينبغي الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام ، وبرجال التجديد الذين يبعثهم الله بين حين وآخر في هذه الأمة ليجددوا لها دينها ، أياً كان لون هؤلاء الرجال واتجاههم ، فقد يكون منهم الخلفاء كعمر بن عبد العزيز ، أو السلاطين والأمراء كنور الدين وصلاح الدين أو الفقهاء والدعاة كالشافعي والغزالي وابن تيمية وابن عبد الوهاب ، وقد يكون المجدد فرداً ، وقد يكون جماعة أو مدرسة اصلاحية يبرز بها اتجاه في الإصلاح له سماته وخصائصه .

٣ ـ كما يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره في حركات المقاومة والتحرير التي ظهرت في العالم الإسلامي ـ على تباعد اطرافه ـ منذ وطئته جيوش الاستعمار . فرغم المكر الصليبي ، ومحاولات التحذير والتضليل ، وذر الرماد في عيون المسلمين ، لم يسلم الاستعمار من المقاومة الباسلة في كل بلد دخله وأريقت الدماء ، وسقط الشهداء تلو الشهداء ، ولم تزل المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير . وكان الإسلام وعلماؤه ودعاته ، وراء هذا الجهاد للاستعمار، بريطانياً كان أو فرنسياً أو إيطالياً أو إسبانياً أو غير ذلك . وقد شهد بذلك مؤرخون غربيون مثل برنارد لويس[3] وغيره .

---

(١) ـ سورة الجمعة : ٢ ـ

(٢) سورة الانعام : ١٢٤

(٣) ـ في كتابه للغرب والشرق الأوسط (ترجمة) د. نبيل صبحي .

تحذيرات للدعاة في المجال التاريخي : –

وأضيف إلى التنبيهات السابقة للدعاة في مجال الثقافة التاريخية ـ تحذيرات يجب على الداعية الواعي ألا يغفل عنها :

أولاً ـ ليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحاً مائة في المائة ، فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفاتتكذبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى . وكم لعبت الأهواء والعصبيات السياسية والدينية والمذهبية دورها في كتابة التاريخ ، وفي رواية وقائعه وتلوين أحداثه ، وتصوير أبطاله إيجاباً أو سلباً ، وخصوصاً إذا علمنا أن ـ التاريخ يكتبه ـ عادة المنتصرون الغالبون . ـ والغلبة لها بريق وأضواء كثيراً ما تعشى أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين ، في حين تضخم أخطاء المغلوبين ، وتطمس فضائلهم ، عن قصد أو غفلة .

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي الذي يتعلق بأمثل عصور الإسلام وأفضلها وهو تاريخ العصور الأولى التي انتشر فيها الإسلام في الآفاق ، وانتشرت معه لغته وفقهه ، واتسع فيها تعلم كتابه وسنة نبيه ، وهو تاريخ عصر الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، وهم الذين أثنى عليهم الله ورسوله ، وهم الذين حفظوا القرآن والحديث وبلغوهما إلى الأجيال اللاحقة من بعدهم ـ إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظلم وشوّه في كتب التاريخ أي ظلم وتشويه . ثم يجيء المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعجرها وبجرها ، ويقولون : نحن لم نحد عن الطريقة العلمية فمصدرنا الواقدي أو الطبري أو ابن الأثير . الخ .. جزء كذا صفحة كذا طبعة كذا .

هكذا يصنع المستشرقون ، وهكذا يفعل أساتذة التاريخ في الجامعات وهكذا يسير الذين يكتبون عن التاريخ في المجلات ، وفي غير المجلات .

ولم يكلف هؤلاء أنفسهم أن يدرسوا كيف كتب تاريخ تلك العصور .

لنأخذ أهم هذه المصادر القديمة وأشهرها وهو : تاريخ الطبري .

لقد كانت الفكرة المهيمنة على الطبري عند كتابة تاريخه هي التجميع والتسجيل ، دون الانتقاء أو التمحيص للأسانيد أو الوقائع المروية . فمن كان عنده خبر ذو بال نقله عنه ودونه منسوباً إليه ، وإن كان رواي الخبر من الضعفاء أو المتهمين أو المتروكين ، وإنما دفعه إلى ذلك حب الاستقصاء ، والخوف من أن يفوته بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي . ويمثل العلامة السيد محب الدين الخطيب الطبري ومن في طبقته من العلماء في إيرادهم الأخبار الضعيفة برجال النيابة في عصرنا ، إذا ارادوا أن يبحثوا في قضية فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره[1] » . هذا عذر للطبري وأمثاله في روايته عن المجروحين . وله عذران آخران :

أولهما : أنه يروي الحوادث بسندها إلى من رواها ، ويرى أنه إذا ذكر السند فقد برىء من العهدة ، ووضعها على عاتق رواته . وقد قيل : من أسند فقد حمل ، أي حملك البحث في سنده ، وكان هذا مقبولاً في زمنه حيث يستطيع العلماء أن يعرفوا رجال السند ، ويحكموا لهم أو عليهم .

ومن هنا قال الطبري في مقدمة تاريخه :

« فما كان في كتابي هذا مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّي الينا » .

وبهذا حمل رواته التبعة ، وحمل بالتالي دارس كتابه أن يفتش عنهم في كتب الرجال ، ومصادر الجرح والتعديل ، وسيجد حينئذ عدداً منهم ساقطاً

(١) مجلة الأزهر : مجلد ٢٤ عدد صفر سنة ١٣٧٢ هـ مقالة « المراجع الأولى في تاريخ المحب الدين الخطيب .

بالمرة ، وعدداً آخر مختلفاً في توثيقه وتضعيفه ، وعدداً آخر من الثقات المقبولين .

فمن رجال الطبري : محمد بن إسحاق صاحب السيرة ، قال فيه الإمام مالك وغيره ما قالوا ، ومن وثقه لا يقبل كل ما يرويه ، وكثيراً ما كان الرواة عنه أضعف منه وأوهن .

والواقدي كذبه جماعة من أئمة الحديث ، ومن قبله لم يقبله بإطلاق ..

وهشام بن محمد الكلبي وأبوه ، وهما متهمان بالكذب .

وسيف بن عمر التميمي كان يضع الحديث ، ويروي الموضوعات عن الأثبات ـ اتهم بالزندقة ، وضعفه غير واحد .

وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي ، قال فيه الحافظ الذهبي : أخباري تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة : ليس بشيء وقال ابن عدي : شيعي محترق ، صاحب أخبارهم !

وغير هؤلاء كثيرون من المجروحين المتروكين عند أئمة الجرح والتعديل من علماء الحديث ، وإن كان رجال التاريخ والأخبار يروون عنهم ، ويستندون إليهم .

ومن أجل هذا لا يقيم المحققون وزناً لروايات « الأخباريين » ولا يعتمدون عليها ويعيبون من ينقل عنها في كتب العلم المعتبرة .

ولهذا نجد الإمام النووي يقول في كتاب « الاستيعاب » لفقيه المغرب ومحدثه الإمام ابن عبد البر النمري : إنه من أحسن الكتب المؤلفة في الصحابة وأكثرها فوائد ، لولا ما شانه بذكر ما شجر بين الصحابة وحكايته عن الأخباريين .

قال السيوطي معقباً : والغالب عليهم الإكثار والتخليط فيما يروونه .[1] .

والعذر الثاني : للطبري في عدم تمحيص ما رواه في تاريخه : أن الموضوع

---

(١) ـ انظر التدريب على التقريب حـ ٢ صـ ٢٠٧ ـ

لا يترتب عليه حكم شرعي من تحليل أو تحريم أو إيجاب أو غير ذلك ، مما يتعلق به علم الفقه . كما أنه لا يتصل ببيان كلام الله أو كلام رسوله ، كما في علم التفسير ، أو علم الحديث . ولا غرو أن وجدنا الطبري ـ الذي كان إماماً جليل القدر في التفسير والحديث والفقه حتى كان له مذهب متبوع مدة من الزمن ـ يدقق ويحقق فيما يتصل بهذه العلوم المذكورة ، ولكنه يترخص ويتساهل في أمر التاريخ ، قائلاً في تسويغ ذلك « إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج .. » .

وغفر الله للإمام الطبري ، فإن هذا التساهل قد شوّه تاريخ فجر الإسلام ، وأساء إلى حملة رسالة الأولين ، وفتح باب الاعتذار نفسه لمن بعده ، فأخذوا عنه كما أخذ عمن قبله ، وأدوا إلى من بعدهم ، كما أدى هوإليهم وكما أدى إليه من قبله . ومن ثم نرى أن ابن الأثير وأبا الفداءوابن كثيروغيرهم ، يعتمدون على الطبري ، ثم جاء المعاصرون والمستشرقون فاعتمدوا على هؤلاء ، واعتبروا ذلك علماً وتحقيقاً .

ولا غرو أن قام فقيه كبير ، وإمام جليل ، هو القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣) بالدفـاع عن الصحابة ، وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرسول ، تحقيقاً علمياً موضوعياً ، وذلك في كتابه القيم : « العواصم من القواصم » الذي أخرج الجزء الخاص منه بالصحابة وحققه وعلق عليه بإفاضة : العلامة السيدمحب الدين الخطيب ، رحمه الله وجزاهما عن الإسلام خيراً .

ثانياً : كما يتعرض التاريخ للتحريف والتشويه في تدوينه ، يتعرض لهما أيضاً في تفسيره .

وفي عصرنا هذا نجد الأهواء والعصبيات والتيارات الفكرية تعمل عملها في تفسير التاريخ وتوجيه وقائعه ـ وقد انعكس هذا على التاريخ الإسلامي أيضاً .

فالمستشرقون ـ في الغالب ـ حين يبحثون في التاريخ ، يخدمون به فكرة بيتوها عن محمد ﷺ ودينه ، فمحمد ليس برسول الله ، والإسلام ليس بدين الله ، وأصحابه ليسوا إلاثلة من المغامرين المتنافسين على الدنيا !

واذا كان هذا رأيهم في الصحابة فكيف من بعدهم ؟ .

لا دين عندهم الا اليهودية والمسيحية أما الإسلام فهو في زعمهم نسخة محرفة منهما ، ولا عبقرية عندهم إلا للغربيين ، ولا حضارة كحضارة اليونان والرومان . والمسلمون لا يزيدون على أن يكونوا نقلة لهما .. الخ .

وفي سبيل هذا يغفلون أحداثاً قيمة ، ويضخمون أحداثاً تافهة ، ويردون أخبار صحيحة ، ويعتمدون أخباراً ضعيفة أو مكذوبة ، يتصيدونها من أي كتاب ولو كان « الأغاني » « للأصفهاني » .

ويوجهون هذا كله توجيهاً مسموماً يؤيد اعتقادهم السابق عن الإسلام وكتابه ورسوله وأمته .

والماركسيون يفسرون التاريخ ـ وفقاً لفلسفتهم المعروفة ـ تفسيراً مادياً طبقياً ، ويحاولون أن يطبقوا ذلك على نشأة الإسلام وظهوره وانتشاره ، ويعتسفون في ذلك كل الاعتساف ، ويحملون الأحداث ما لا تحتمل بحال ، ويقسمون الصحابة إلى يمين ويسار ، ويديرون صراعاً موهوماً بينهما .. وهكذا . وكثير من كتاب المسلمين أنفسهم ، يخلعون على حوادث التاريخ ، ومواقف رجاله ، ما عرفوه وخبروه من ألاعيب السياسة ، ومواقف رجالها في هذا ويتخيلون العلاقة بين عمر وخالد ، أو بين عثمان وعلي ، أو بين علي وطلحة والزبير ، من أمثال العلاقة بين الطامحين والطامعين من رجالات الأحزاب ، وتجار السياسة في عصرنا ، ويفسرون المواقف والأحداث تبعاً لهذا التصور الظالم ، المتجني على هذا الجيل المثالي الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله .

والقوميون من العرب يوجهون التاريخ الإسلامي كله وجهة قومية ،

فالإسلام في نظرهم انتفاضة عربية أو وثبة من وثبات العبقرية العربية ! ورسول الإسلام ذاته بطل قومي جادت به أمة العرب على الإنسانية ! ولا نعجب بعد ذلك إذا غدا « أبطـال الإسلام » وعلماؤه ورجالاته الكبار على مدار تاريخه أبطالاً عرباً » ولا أن تسمى الحضارة الإسلامية « حضارة عربية » مع أنها بلا ريب إسلامية بحكم أهدافها وقيمها المستمدة من الإسلام .. إسلامية بحكم بواعثها ودوافعها المرتبطة بخدمة الإسلام .. إسلامية بحكم العناصر التي أسهمت في بنائها وتشييد أركانها ، وهي عناصر تشمل كل الأجناس والشعوب الإسلامية. إسلامية بحكم الرقعة التي امتد اليها وأثرت فيها ، وهي رقعة واسعة تشمل العالم الإسلامي كله .

على أن للعرب فضلاً لا ينكر ، فهم عصبة الإسلام الأولى ، وحملة رسالته الأولون ، ومبلغو القرآن والسنة إلى العالمين. وفيهم بعث الرسول الخاتم ، وبلسانهم نزل الكتاب الخالد ، وفي أرضهم حرم الله وحرم رسوله . ولكن هذا شيء ، وتحريف التاريخ شيء آخر .